

وبيت المتنبي :

يزور الاعادي في سماء عجاجة أستته في جانبيها كواكبُ

وبيت كلثوم بن عمرو :

تبنى سناكبها من فوق رؤسهم سقفا كواكبهُ البيضُ المباتيرُ

« التفصيل في الابيات الثلاثة كأنه شيء واحد لان كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل الا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير في النفس ما لا يقل مقداره ولا يمكن انكاره ، وذلك لانه راعى ما لم يراعه غيره وهو أن جعل الكواكب تهاوى فآتم الشبه وعبر عن هيئة السيوف وقد سلّت من الاغماد وهي تعلق وترسب وتجيء وتذهب ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة كما فعل الآخران . وكان لهذه الزيادة التي زادها حظ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل وذلك انا وإن قلنا ان هذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها انما أتت في جملة لا تفصيل فيها فان حقيقة تلك الهيئة لا تقوم في النفس الا بالنظر الى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب واختلاف الايدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات بسرعة ثم ان لتلك الحركات جهات مختلفة واحوالاً تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض وان السيوف باختلاف هذه الامور تتلاقى وتداخل ويقع بعضها في بعض ويصدم بعضها بعضاً ، ثم ان اشكال السيوف مستطيلة . فقد نظم هذه الدقائق كلها في نفسه ثم احضرك صورها بلفظة واحدة ونبه عليها بأحسن التنبيه وأكمله بكلمة وهي قوله « تهاوى » لان الكواكب اذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها في تهاويها تواقع وتداخل ثم إنها بالتهاوي تستطيل أشكالها ، فأما اذا لم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة » (١) .

(١) اسرار البلاغة ص ١٦٠ .